

الحركة الرومانسية والأدب العربي

الحديث في العراق

المدرس المساعد

ناظم رحيم السلامي

كلية الاداب / جامعة الكوفة

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث في العراق

المدرس المساعد

ناظم رحيم السلامي

كلية الآداب / جامعة الكوفة

المقدمة :

أخذ العديد من الأدباء والنقاد يطلقون صفة الرومانسية على هذا الأديب أو ذاك دون مراعاة لمحدودية هذه الصفة، ولم يتوقفوا ولو للحظة واحدة أمام مدلول هذا المصطلح. وتشكل هذه الظاهرة مشكلة من أخطر المشكلات في البحث النقدي المعاصر في الأدب العربي لأن هذا الأمر محفوف بالمخاطر وقد يوقعنا في كثير من المشكلات.

سنقوم في هذا البحث باستعراض الحركة الرومانسية نشأة ومميزات وآراء لكي نرى هل يحق لنا بعد ذلك استعارة وإطلاق هذه التسميات في أدبنا العربي؟ وقد تعمدت كتابته في اللغة العربية ليطلع عليه ذوو الشأن .

الرومانسية:

الرومانسية حركة أدبية أوروبية المنشأ ظهرت في القرن التاسع عشر في أوروبا وجاءت رد فعل على العقلانية في العصور السابقة وتمردا على أفكار وممارسات المعاصرين لها، لقد كفر الرومانسيون بكل ما هو سائد في عصرهم (١) نتيجة وطأة القهر الذي يمارسه المجتمع وقوانينه المفروضة لحماية النظام والاستقرار والأصول والصالح العام.

جاءت الثورة الصناعية بواقع جديد حيث حلت الآلة محل الإنسان في كثير من الأعمال الأمر الذي أدى الى انخفاض الأجور واضطر الشخص الى أن يعمل كل

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
اليوم لغرض كسب لقمة العيش.فنشأت حالة من الظلم وعدم أنصاف من يبيع قوة عمله
من اجل العيش .

حاول الشباب ان يغيروا هذا الواقع الا انهم كانوا يصطدمون دائما بالمدافع
الأول عن ذلك الواقع وهو الاتجاه العقلاني حيث كانت الحجج التي يواجهونها أقوى
من حججهم وأكثر اقناعا فخرجوا بنتيجة هي أن الانسان مكبل بالعرف والتقاليد
والعقل والمنطق ولذلك تركوا العقل ولجأوا الى المخيلة والى القلب حيث اعتبروه أكثر
صدقا من العقل الذي يدافع عن الاستغلال والواقع الفاسد بحجج لا قبل لهم بها
فاعتمدوا المخيلة للوصول الى العالم الذي ينشدونه فلقد سئموا العالم الواقعي لينغمسوا
في الأحلام والأوهام ولقد وجدوا في الأدب والشعر بخاصة مرتعا خصبا للتعبير عن
آراءهم الانقلابية حيث الخيال المطلق والاتيان بجديد لا يلاقي صعوبات كما هو الحال
في الميادين الاخرى كالسياسة مثلا ،ولذلك ترى انهم يقرأون بعشق كتابات فكتور
هيجو ودعاة الثورة في فرنسا وعندما قامت الثورة الفرنسية كانوا اول المناصرين لها
لانهم وجدوها تمثل نزعتهم للتغيير والانقلاب على الواقع الفاسد بعيدا عن المنطق
والعقل والعرف والتقاليد السائدة وفي هذه الفترة تركوا الادب ليتجهوا الى السياسة
ومنهم وردزورث الذي نادى بالنظام الجمهوري واسقاط الملكية وكوليرج الذي أصبح
صحفيا سياسيا وشيلي الذي نادى بالثورة على النظام الملكي ووزع المنشورات
السياسية واللورد بايرون الذي تطوع للدفاع عن حرية اليونان ومات هناك بعد ان
أصيب بالحمى .وحتى فيلسوفهم فيكتور هيجو ترك الشعر لمدة عشر سنوات
للاشتغال بالسياسة ولامارتين أصبح وزيرا وانغمس بالسياسة (٢) .

مما تقدم نرى انهم لم يكونوا رواد حركة أدبية فقط وإنما كانوا انقلابيين وجدوا
الشعر مرتعا خصبا لأرائهم في التغيير ، وتطورت حركتهم حتى أصبحت موقفا من
الحياة والمجتمع والكون وكانت لهم آراءهم في كل مجال الا ان هذه الآراء كانت
بالضد من كل ما هو قائم . وفي أدناه بعض من آراءهم ومواقفهم :-

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
الموقف من الطبيعة : دأب الكثير من النقاد على القول بأن الطبيعة هي القاسم
المشترك بين الرومانسيين وإن كل من كتب عن الطبيعة فهو رومانسي (٣) ولكن هذا
خطا كبير فالطبيعة والكتابة عن الطبيعة ظهرت في كتابات الأقدمين والمهم هو ليس
الكتابة عن الطبيعة ولكن المهم هو النظرة الى الطبيعة والموقف منها ، فالشاعر
الكلاسيكي يتناول الطبيعة ويصفها ويدعو الى محاكاتها فهي بالنسبة له مثال عام
يصلح لكل طبيعة في كل مكان وبدون خصوصيات (٤) وبدون وجود أي رابط
عاطفي ويتميز وصفه بأنه يعنى بالخارج فهو ينقل صورة الطبيعة كما هي دون تدخل
منه .إما بالنسبة للشاعر الرومانسي فالطبيعة تمثل بعدا نفسيا (٥) فقلما نجد الشاعر
الرومانسي يصف الأشياء كما تبدو بل نجده دائما يصف ماهيتها ووصف الطبيعة
عنده هو وصف هادف ومن هذا جاء اهتمامهم بحياة سكان الريف والحياة العادية ، كما
إن وصف الطبيعة عند الرومانسيين يأتي نتيجة التأمل والخيال والشعور بغموض
الأشياء فحتى الأشياء والمناظر الجميلة تشكل غموضا يتطلب وصفا وتحليلا خياليا
كما نلاحظ وردزورث في قصيدته (القمبرة) هذا الطائر المؤلف : (٦)

Ethereal minstrel pilgrim of the sky

Does thou despise the earth where cares abound

Or ,while the wings aspire , are heart and eye

Both with thy nest upon the dewy ground ?

وقد قمنا بترجمتها بتصريف :

أيها المغني الأثيري يا سائح السماء

هل تكره الأرض حيث تنتشر الهموم ؟

قلبك وعينك منصبة على عشك

على الأرض الندية

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
نلاحظ هنا إن الوصف لا يتعامل مع الخارج فقط بل يحاول الشاعر النفاذ إلى
ماهية الأشياء واخذ الدلالات منها فالشاعر هنا قد ضاق ذرعا بالحياة نتيجة للهموم
والحزن الذي هو سمة جميع الرومانسيين ليعبر عن الكراهية لهذه الحياة من خلال
وصف (القمبرة) فالشاعر يعبر هنا عن ذاته حيث تكون الحياة ويظهر الحب من
أعماق القلب لبيته والمقصود هنا الوطن كما إن التمتع بجمال الطبيعة والارتباط بها
يؤدي إلى الشعور بمعاناة الناس على طريقة الأمور تعرف بأضدادها .وفي الأبيات
التالية يبدو لنا بوضوح كيف إن الجلوس في بستان وقت الربيع قد أثار لدى الشاعر
أفكارا وأفكار حيث الارتباط بالطبيعة الذي يحقق مزاجا ملؤه المتعة والذي يؤدي
بدوره إلى استذكار الأفكار الحزينة -الشعور بالفرح يؤدي إلى تذكر حالات الحزن .
يقول وردزورث في قصيدته (سطور كتبت في بداية الربيع) ما يلي (٧) :

I heard a thousand blended notes

While in grove I sat reclined

In that sweet mood when pleasant thoughts.

Bring sad thoughts to mind

To her fair works did nature link

The human soul that through me ran ;

And much it grieved my heart to think

What man had made of man

ومعناها (بتصرف) حسب ترجمة الباحث :

عندما استلقيت في بستان

امتزجت لدي ألف فكرة

وفي ذلك المزاج الرائق حيث

تؤدي الأفكار الممتعة إلى

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي

جلب الأفكار الحزينة إلى العقل

ربطت الطبيعة الروح الإنسانية

التي تسري فيّ إلى حركتها الجميلة

وقد أحزنت قلبي حين تذكرت

ما عمل الإنسان بأخيه الإنسان

بالإضافة إلى هذا فإن الرومانسي إنسان يتحدث دائما عن ذاته يلفه الحزن ويرعبه الحنين المفترض. لقد جاء الهيام بالطبيعة على الطريقة الرومانسية نتيجة للنداء الذي وجهه جان جاك روسو الذي كان عاشقا للطبيعة والبساطة والخيال في الريف لأنها تمثل في نظره الخير والمساواة والنقاء وترك الحياة في المدن بكل تعقيداتها .

جاءت هذه النظرة نتيجة للإحباط الشديد الذي شعر به روسو وبقية رواد هذه الحركة نتيجة لضعف الحجج التي جاءوا بها تجاه عقلانية المدن ولا يوجد أمامهم إلا الريف وبساطته وحيث توجد الفرصة لإقناع البسطاء بأرائهم يقول وردزورث في مقدمة كتابه (Lyrical Ballads) إن عقل الإنسان هو أفضل مرآة للطبيعة وهي الأكثر متعة وإن هذه المرأة هي أكثر نقاء عند أهل الريف (٨).

الموقف من اللغة :

لقد دأب الكتاب والأدباء الغربيين وخاصة الإنكليز ومن بداية الإنكليزية الحديثة من حوالي العام ١٥٠٠ بعد الميلاد على التركيز على تطوير لغة أدبية تختلف تماما عن الإنكليزية المتداولة حيث كانت لغة الأدب أكثر دقة وأكثر تأثيرا وفي عصر الملكة إليزابيث قام الأدباء والكتاب بأغناء لغة الأدب عن طريق استعارة الكثير من الكلمات من اللغات الأخرى أو صياغة كلمات أو تعابير جديدة وفي القرن التاسع عشر قاموا بتطوير أسلوب جديد في النشر قادر أن يسع أكثر الأفكار تعقيدا وفي القرن التاسع عشر كان اعتزاز الكتاب والأدباء بلغتهم وكمالها كبيرا بحيث كانوا مقتنعين بذلك تماما ولم يكن عليهم سوى الحفاظ على سلامة لغتهم وتخليصها مما كانوا

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
يعتقدون أنها صيغا وتعابير غير نظامية فهي بالنسبة لهم في غاية الكمال ومتميزة
على اللغة في جميع مراحلها السابقة حيث اعتبروا لغة العصور السابقة لغة بدائية
وغير دقيقة وحتى شكسبير كان بالنسبة لهم كاتباً يتميز باستعمال اللغة التي هي دون
الأرقى وكانوا ينتقدون لغة الكلام المتداولة واللهجات لدى عامة الناس ويعتبرونها
عبثاً صبيانياً (٩) وقد انشغل الكتاب والأدباء بالقواعد والشكل والخطأ والصواب في
استخدام اللغة وبالغوا فيها فالعديد من الكتاب النخبة في ذلك الوقت مثل ديفو وأديسون
وسوفت كانوا يسعون الى إقامة أكاديمية تعنى بسلامة اللغة وكتبوا مقالات عديدة
لتحديد اسباب الحاجة الى ذلك يقول سوفت (كل ما اكنه في أعماق قلبي هي أن أرى
طريقة لحماية وتثبيت لغتنا والى الأبد).

الكساندر بوب قالها شعرا في (Essay on criticism) (١٠) :

Short is the date ,alas of modern rhymes

Our sons their father's failing language see ,

And such as Chaucer is shall Dryden be .

وهذا المقطع يعني : قصير عمر هذه الأشعار الحديثة . اولادنا سيشهدون موت
لغة آبائهم وما حدث ل(جوسر) سيحدث ل(درايدن) (١١). وهو هنا لا يريد أن نغير
اللغة للحفاظ على الكنوز الأدبية التي نشرت فيها وكما نلاحظ فان لغة جوسر (أبو
الأدب الإنكليزي) أصبحت غير مفهومة عندما جاء الرومانسيون وجريا على عاداتهم
من نقض وتقويض كل ما هو قائم فقد اعتقدوا بان هذه النظرة إلى اللغة هي نظرة
ضيقة وبدا لهم أن لغة القرن الثامن عشر رغم دقتها ولطافتها هي لغة مصطنعة
ومحدودة التأثير يقول وردزورث في كتابه Lyrical Ballads ما يلي :
(يجب على الشاعر أن يستخدم لغة مستخدمة حقا من قبل الناس).

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
لذلك قام الرومانسيون باعتماد أية صيغة نبذها كتاب القرن الثامن عشر بدءا من
لغة الأغاني الشعبية إلى اللغة المتداولة يوميا فهذا كوليرج استخدم اللغة القديمة
الخاصة بالأغاني في قصيدته (The Rhyme of the Ancient Mariner) وفي
أدناه مقطعاً منها وللقارئ أن يرى الفرق بين لغتها ولغة شعر القرن الثامن عشر:

At first it seemed a little speak,
And then it seemed a mist ;
It moved and moved and took at last
A certain shape ,I wit (12)

نلاحظ هنا أن اللغة المستخدمة هنا هي لغة الكلام الدارجة فكل المفردات تشير
إلى ذلك اللهم إلا كلمة (Wit) وتعني (يعرف) وهذه الكلمة لا تستخدم الآن إلا اسما
ويبدو إن كوليرج احتفظ بها عن قصد لإعطاء القصيدة طابعا يذكر القارئ بالقرون
الوسطى لكي يعيش أجواء القصيدة .

استخدم وردزورث البساطة والأسلوب المباشر لكلام الريف في معظم أشعاره
ولو إن هذا الشاعر في نظر الباحث ليس شاعرا رومانتيكيا بشكل كامل رغم كل ما
كتب عنه وسنأتي على ذكر ذلك في بحوث قادمة إن شاء الله .

اللورد بايرون استخدم العامية في " Don Juan " والأمثلة كثيرة . وبهذا أطاح
الرومانسيين بالفارق بين لغة الأدب واللغة العادية وهدموا كل ما بناه الأوائل عبر
قرون .

الموقف من الدين :

لا يخفي على احد ما للكنيسة من أفكار متأصلة في المجتمع الأوروبي في القرن
التاسع عشر وكيف كانت الطروحات والأفكار الدينية تقف عائقا أمام موجات التغيير

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
والخروج عن العقل والمنطق وجريا على عاداتهم في نقض أية حقيقة قائمة ومحاربة
كل ما يمت بصلة للعقل والمنطق رفض الرومانسيون الافكار الدينية.
طرد شيلي من جامعة أكسفورد حين أصدر كتيباً حول ضرورة الإلحاد وإنكار وجود
الله (١٣) .

وردزورث شأنه في ذلك شأن بقية الرومانسيين، تمرد على الأفكار الدينية وقد وقف
على مشارف الإلحاد بحيث اتهمه وليم بليك بالإلحاد وهاجم الكنيسة ولكنه سرعان ما
عاد إليها وتغنى بها عندما تقدم به العمر (١٤).

الموقف من المرأة :

نظر الرومانسيون إلى المرأة نظرة غريبة فبالنسبة لهم لم تعد ذلك المخلوق
الأنثوي الجميل الذي يسحر الخلق بجماله بل مخلوقاً غريباً وغامضاً يعيش في عزلة
وفي الأماكن النائية فنجدها في كتاباتهم الأدبية هي حورية البحر والجنية والأميرة
الشرقية والعجربة المتخلفة وهذا لا يعني إنهم لا يكتثرون بالفتاة العادية ولكن في
نظرهم إن عناصر الأنوثة تتجلى واضحة من خلال الغرابة والسحر الذي يصيب
عمق حياة الرجل . ولغرض أن يتجلى لنا الفرق واضحاً بين النظرة الكلاسيكية
والنظرة الرومانسية لنأخذ مثلاً قصيدتين أحدهما لشاعر رومانسي وهو وردزورث
والثانية للشاعر شكسبير .

يقول وردزورث في إحدى قصائده الموجهة إلى " Lucy " ما يلي (١٥) :

She dwelt among the untrodden ways

Beside the spring of dove ;

A maid whom there were none to praise ,

And very few to love .

A violet by a mossy stone

Half –hidden from the eye

Fair as a star , when only one

Is shining in the sky .

She lived unknown , and few could know

When Lucy ceased to be ;

But she is in her grave , and , on ,

The difference to me

وقام الباحث بترجمتها بتصريف وكما يلي :

إنها فتاة تعيش بين الطرق التي لم يسلكها احد

إلى جانب نهر دوف

لا يوجد احد ليمتدحها والقليل ليجبوها

وردة بنفسج مخفيه عن الأعين إلى جانب صخرة

تغطيها الأعشاب

جميلة كالنجمة عندما تكون هناك نجمة واحدة في السماء

عاشت غير معروفة والقليل يعرف متى رحلت لوسي

ولكنها في قبرها ، والفرق لصالحي

نلاحظ هنا كيف إن الشاعر اهتم بخلق حاله في العزلة والغموض من خلال

استخدام تعابير موحية ومثيرة للأفكار مثل الطرق غير المستخدمة ليوحى لنا بان

المنطقة معزولة وان الفتاة في عزلة ، والحزن واضح في الأفكار التي أثارها الشاعر

ورغم البداية الجميلة التي بدأ بها الشاعر إلا إننا نجده يشوه هذه الصورة في السطر

الأخير ليفكر في ذاته شأنه شأن سائر الرومانسيين يلفه الحزن ويرعبه الغموض

المفترض .

وعلى النقيض من ذلك نجد شكسبير الشاعر الكلاسيكي يصف المرأة في السونت

(١٨) ويقول :

Shall I compare thee to a summer's day ?
Thou art more lovely and more temperate
Rough winds do shake the darling buds of may ,
And summer's lease hath all too short a date ;
Some times too hot the eye of heaven shines
And often is his gold complexion dimmed;
And every fair from fair sometimes declines ,
By chance or nature ,s changing course untrimmed .
But thy eternal summer shall not fade
Nor lose possession of that fair thou owest ;
Nor shall death brag thou wanderest in his shade ,
When in eternal lines to time thou growest
So long as men can breath , or eyes can see ,
So long lives this , and this gives life to thee .(16)

وقد ترجم غانم شهاب هذه القصيدة شعرا (17) بشكل دقيق وقال :

أنت ارقى لطافة واعتدالا
براعم أيار التي تتلأأ
وبه الشمس قد تفيض اشتعالا
مكفهر خلف الغيوم الحبالى
بفعل الأيام إذ تتوالى
ابدي يفيض دوما جمالا
ليس يلقى عليه يوما ضلالا
من سطوري اللائي ملئن جمالا
طالما تشعل السطور خيالا

لست أختا ليوم صيف جميل
فالرياح الهوجاء ترعش أحيانا
ومدى الصيف لا يدوم طويلا
والسنى العسجدي حيناً تراه
كل حسن يزل في قمة الحسن
إن صيفك المنور صيف
والردى نفسه بعيد بعيد
إذ تفعلين بالزمان دوما
طالما أنفس هنا وعيون

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي

تأثير الحركة الرومانسية على الأدب العربي في العراق :

دأب الشعراء الشباب على تقليد الشعر الأوربي والرومانسي بالذات وأعلنوا عن إعجابهم الشديد وتذوقهم للشعر الغربي إلى الحد الذي جعلهم يهدون باكورة نتاجاتهم الأدبية إلى أعلام الشعر الرومانسي أو يترجمون قصائدهم في قالب شعري.

نازك الملائكة كتبت في ديوانها الأول "عاشقة الليل" عام ١٩٤٧ قصيدة بعنوان إلى الشاعر "كيتس" ثم قامت بترجمة قصيدتين من الشعر الإنكليزي الأولى بعنوان "البحر" للشاعر اللورد بايرون والثانية "مرثية في مقبرة" للشاعر توماس غري .

بدر شاكر السياب وفي شدة إعجابه بالشعر الإنكليزي قام بنقل دراسته الجامعية من قسم اللغة العربية إلى قسم اللغة الإنكليزية ليتمكن من قراءة مسرحيات شكسبير وأشعار شيلي وكيتس ووردزورث وبايرون واليوت وطلب من أصدقائه ممن يجيدون الفرنسية أن يترجموا له أشعار لامارتن وهيغو وبودلير (١٨) .

وهناك شعراء اتهموا بالرومانسية نتيجة للتشابه بالمضمون بين قصائدهم وقصائد أقطاب الحركة الرومانسية مثل الشاعر علي الشرقي الذي نظم قصائد من الطبيعة وحياة الريف ووصف معاناة سكانه من الفلاحين الفقراء مشاركة وجدانية منه لهؤلاء المستضعفين وخاصة في كتابه "الأحلام" .

الشاعر عبد الوهاب البياتي تأثر بالحركة الرومانسية وهناك الكثير من الملامح المشتركة بين شعره وشعر شعراء الحركة الرومانسية الأوربية ولو أن القصد من هذه الملامح يختلف عن القصد في قصائد أقطاب الحركة الرومانسية .

إن الملامح والقواسم المشتركة بين الرومانسيين ومن تأثر بهم يتشابه بالشكل والمضمون ولكنها تختلف بالقصد من وراءها ومن هذه القواسم الطبيعة والخيال والغموض .

بدر شاكر السياب مثلاً وصف الطبيعة ولكن الطبيعة بالنسبة له كانت بمثابة مجال يستطيع من خلاله أن يعبر عن ذاته فالقصد هو التعبير عن الذات إذا وليس ذلك

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
البعد النفسي الهادف عند الشاعر الرومانسي .كان السياب يتذكر من خلال وصف
الطبيعة جراحه الدامية (١٩) ولم يقد بتصوير جميع فصول السنة بل اخذ الفصول
التي تتلاءم مع طبيعته الحزينة فهو يصور الشتاء والخريف والأوراق الذابلة
.....الخ ويقول السياب في رسالة وجهها إلى الدكتور صالح جواد :

أما أنا فلا أحس للربيع وجودا هو الربيع ولكن عند اهله (٢٠) وحتى الشعراء
الباقيون الذين تناولوا الطبيعة في أشعارهم وقاموا بوصفها فقد تناولوها بنظرة
كلاسيكية فالمهم ليس وصف الطبيعة بل النظرة إليها والموقف منها فالشاعر
الكلاسيكي يتناول الطبيعة ويصفها ويحاكيها فهي بالنسبة له مثال عام يصلح لكل
طبيعة ولم تشكل بعدا نفسيا بالنسبة له كما لاحظنا سابقا .

أما الغموض فلم يكن شيئا جديدا في الأدب العربي فقد اشتهر أبو تمام بتغميض
المعنى ويبدو ذلك واضحا في قصيدته في فتح عمورية

السيف اصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
أما عن الخيال فالخيال موجود في الشعر الكلاسيكي ولكنه خيالا جماليا لا
يهدف إلى إظهار الغرابة والغموض ولا يمكن أن نتصور شعرا بدون الخيال حيث انه
هو وسيلة الشاعر للتخاطب ونقل الأفكار .

أما عن التجديد في الشعر العربي فقد حدث قبل الحركة الرومانسية بقرون فقد
بدأت محاولات التجديد في العصر الأموي وسميت لاحقا بالكلاسيكية الجديدة وفي
العصر العباسي كانت هناك محاولات أخرى للتجديد بدأها بشار ابن برد وأبو نؤاس
ووصلت ذروتها في تجربة أبي تمام من خلال طغيان الذهنية في شعره (٢١) وحتى
المتنبي يعتبر من مدرسة أبي تمام ولكن شعره تميز بالتوازن بين الذهنية والعفوية
وخاصة في قوله :

يا اعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
فالأدب العربي أدب حي ومتطور مع تطور الحياة ومن هذا نستنتج إننا يجب أن
نكون حذرين في إطلاق هذه التسميات والصفات وان لا نطلقها جزافا وبخلافه فإننا

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
نكون قد أفرغناها من محتواها وجوهرها الحقيقي فالحركة الرومانسية كما لاحظنا
حركة لها أسبابها ولها سماتها الزمانية والمكانية وعلى سبيل المثال عندما نتحدث عن
حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق فهي حركة سياسية لها أسبابها وظروفها الزمانية
والمكانية ولا يمكن أن نسمي أي حركة في العالم بالحركة الكيلانية مهما كان
التشابه كبيرا بينها وبين تلك الحركة .

ومن الظلم أن نطلق صفة الرومانسية على شعرائنا فهم ليسوا أحادي الجانب
بل أناس متوازنون ولا يوجد أي شك في رسوخ إيمانهم بالله تعالى على العكس من
أقطاب الحركة الرومانسية الذين اتخذوا من الإلحاد مذهباً . ثم إن موقفهم من لغتهم
واضحاً ولم نلاحظ أية صفة من صفات الرومانسية في لغتهم.

إن استعارة هذه التسميات وإطلاقها على أدبنا العربي أمر شائك وغير مضمون
النتائج حيث إن ألبيتي والسياب ونازك الملائكة والآخرين لم يعتنقوا الرومانسية بل
تأثروا بها والتأثر شيء والاعتناق شيء آخر ثم لماذا هذا الإقحام لمصطلحات غريبة
على أدبنا العربي الأصيل إنما في هذا المنحى نتفق مع الدكتور علي جواد الطاهر بأنه
لا داعي لمحاولات إيجاد نظائر في أدبنا العربي لما هو موجود في الأدب الغربي
وكاننا نشعر بالنقص (٢٢).

هذا بالإضافة الى إن كل ظاهرة فكرية أو أدبية هي نتاج لنزعة فلسفية . وهذه
النزعة لها ظروف نشأة وتطور وهي من رحم ثقافتها نفسها ،

بعد القرن السابع عشر الهجري (١٣ م) أصبح عقل العالم العربي في ظل
الإحباط الثقافي (عقلاً سكونيا يتأثر بسرعة بما حوله من إنجازات فكرية أو أدبية
،فمحاولات التجديد والاحيائية التي حصلت في الادب العربي لم تكن عصامية ورادمة
للقطيعه بين عصر الإبداع وعصر الإحياء بل حاولت أن تستورد بلا تمحيص كاف
النزعات والاتجاهات الأدبية الأوربية دون أن تنظر إليها بوصفها نتاج حركة عقلية
وزمانية خاصة بظروف اوربا . لذا سمي شعراءنا التجديد يون من امثال نازك

الحركة الرومانسية والأدب العربي الحديث.....م.م ناظم رحيم السلامي
الملائكة والبياتي والسياب والشرقي ...الخ بالرومانسيين والفارق يتجسد في ان
رومانسية اوربا قد جاءت ردا على الكلاسيكية الأدبية بينما رد الفعل على الكلاسيكية
العربية لم يكن إبداعيا إنما تأثريا او تقليديا لموجات أدبية من الغرب .

لقد ذهب النقاد بعيدا في وصف التجديدين بانهم رومانسيون وكان الاولى أن
يصفوهم بأنهم قد تأثروا بسبب تردي المسار الأدبي في العالم العربي بالرومانسية
شكلا لا فلسفة ولم يأخذ النقاد بالاعتبار بان لغتنا الفصيحة هي لغة التفاهم ولغة الادب
وان الدين في العالم العربي حالة سليمة وأصيلة ولا مبرر للأدب أن يتمرد على
الأيمان والفطرة ولذلك فإننا لو تلمسنا سمات الرومانسية الجوهرية في الشعر
الإنكليزي لم نجد لها في شعر التجديدين .

الخلاصة

اعتاد النقاد العرب على اطلاق صفة الرومانسية على كل شاعر تناول الطبيعة
في شعره وبدون معرفة ما يعني ان تكون رومانسيا واي الكتابات تعود الى
الرومانسية .

هذه الدراسة هي محاولة لاستعراض مميزات الحركة الرومانسية لكي يكون
لنقادنا فكرة واضحة عن هذه الحركة على امل ان يؤدي ذلك الى فهم افضل لمضمون
هذه الحركة والى كتابات نقدية افضل .

فليس من الانصاف ان نسمي نازك الملائكة او السياب مثلا شعراء رومانسيين
فليس المهم الكتابة عن الطبيعة بل الموقف منها .وعلاوة على ذلك فللحركة
الرومانسية ظروفها الزمانية والمكانية .

لا ينكر الباحث بان هناك من شعراء العصر الحديث من كان معجبا بالشعر
الرومانسي ولكن هذا لا يعني بانهم اتباع لهذه الحركة ويعتقدون بكل مبادئها .

Abstract

Arab critics used to call any poet who writes about nature a romantic poet without taking a good idea of what it means to be romantic and what kind of writing belongs to Romanticism .

This study is an attempt to explore the characteristics of Romanticism so that our critics may have a clear idea of it .It is also hoped that this will lead to a better understanding and better criticism of Romanticism

It is unfair to call Nazik al-Malaika or al-Sayyaab, for instance , romantic poets .It is true that they wrote about nature .But the important thing is not writing about nature but the attitude towards it . Moreover Romanticism has its own circumstances of place and time .The present researcher agrees that some of our modern poets admired the romantic poetry but this does not mean that they believed in all the romantic principles .

قائمة المصادر والمراجع

- ١- مجلة الأقالام عدد خاص ١٩٤٧ مقالة شفيق مفاز "وليم وردزورث"
- ٢- نفس المصدر السابق .
- ٣- مجلة الطليعة الأدبية العدد الخامس ١٩٧٨ مقالة حسن توفيق "الرومانسية عند بدر شاكر السياب من الفردية إلى الجماعية".
- ٤- تطور الشعر العربي الحديث في العراق (ص ١٣٦) الدكتور علي عباس علوان .
- ٥- نفس المصدر السابق .
- ٦- McCormick ,p. ,1986 Adventures in English literature .New York ;Harcourt ,Brace and world ,inc.
- ٧- نفس المصدر السابق ص ٤٢٨ .
- ٨- نفس المصدر السابق ص ٤٢٩ .
- ٩- نفس المصدر السابق ص ٤١٩ .
- 10- نفس المصدر السابق ص ٤٢٩ .
- ١١- نفس المصدر السابق ص ٤٨٦ .
- ١٢- نفس المصدر السابق ص ٤١٩ .
- ١٣- مجلة الأقالام عدد خاص مقالة شفيق مفاز "وليم وردزورث".
- ١٤- نفس المصدر السابق
- ١٥- Burton,1985,The criticism of poetry,London,Longman-
- ١٦- McCormick ,p. ,1986 Adventures in English literature .New York ;Harcourt ,Brace and world ,inc.
- ١٧- مجلة العربي العدد ٥٥٦، ٢٠٠٥، الكويت وزارة الأعلام .
- ١٨- مجلة الطليعة الأدبية العدد الحادي عشر ١٩٨١ مقالة عبد الله رمضان "قصيدة النثر وحركة التجديد في الشعر الحديث".
- ١٩- مجلة الطليعة الأدبية العدد الخامس ١٩٧٨ دراسة حسن توفيق "الرومانسية عند بدر شاكر السياب"
- ٢٠- نفس المصدر السابق .
- ٢١- الطليعة الأدبية العدد الخامس ١٩٧٨ مقالة يوسف نمر ذياب "أبو تمام والذهنية في الشعر".
- ٢٢- مجلة الأقالام العدد الثالث ١٩٨٤ مقالة فاضل ثامر "النقد الأكاديمي في مواجهة شعرنا الحديث .